منذر طباره
خطاب التخرّج
٤ أيلول ٢٠٢١

أريدكم جميعًا، وأنت تجلسون هنا بقبعات وعباءات التخرّج، أن تغمضوا عينيكم وتعودوا إلى الوراء إلى يومكم الأول هنا في الجامعة الأميركية في بيروت. تذكروا عبوركم الأبواب المعدنية الكبيرة على المدخل الرئيسي والوحيد الذي عرفتم اسمه "ماين غايت". فكروا كيف مسحتم بصمت، بنظركم، الحرم الجامعي المزدحم، محاولين تحديد من كان من طلاب السنة الأولى ومن لم يكن، ومن كان يمر بالتجربة ذاتها مثلكم، ومن لم يكن. فكروا في الطريقة التي سألتم بها مجموعة الأصدقاء تلك عن موقع مبنى نايسلي. فكّروا في ذلك الشخص الذي جلس بجانبكم في ذلك اليوم الأول من الدراسة والذي أصبح فيما بعد أحد أهم عناصر حياتكم.

والآن، فكروا في كل ما تغيّر. فكروا في كل ما تعلمتموه. فكّروا كيف صرتم الآن شخصاً مختلفاً تماماً. لكن رحلتنا، مع انها كانت مجزية، كانت أصعب بكثير مما تخيّله أي منا. أعني لا أعرف شعوركم، لكني اليوم أشعر أن هذه نهاية معركة أكثر منها احتفالاً.

استعدادًا لهذا اليوم، قرأت بعض خطابات التخرّج من السنوات السابقة، وغالباً ما تم ذكر مدى صعوبة رحلة الجامعة الأميركية في بيروت. لكن العامين الماضيين وضعا معايير جديدة تماماً للصعوبة. على المستوى التعليمي، بدأنا بما اعتقدنا آنها أنه حياة صعبة في الحرم الجامعي. حاولنا أن نوازن بين صفوف المناهج الدراسية، والصفوف والنشاطات الإضافية، والحياة الشخصية. وعندما أتقنّا ذلك، جاءتنا جائحة كوفيد-19 ووجب علينا التعلم والتكيف مع كل شيء من جديد حيث صار كل شيء في حياتنا اونلاين.

وعلى المستوى الاجتماعي -الاقتصادي، هه، حدّث ولا حرج! سلسلة لا تنتهي من الأحداث المؤسفة. ظللنا نمرّ بثورة تحدّت الوضع اللبناني الفاسد، وجائحة جمّدت العالم كله، وركود عالمي قدم أسوأ فرص عمل لخرّيجينا؛ وواحدة من أسوأ الأزمات الاقتصادية منذ خمسينيات القرن التاسع عشر؛ وإحدى أقوى الانفجارات في العالم؛ وأزمة وقود؛ وأزمة كهرباء؛ وأزمة صحية. لكننا صمدنا. وها نحن هنا اليوم.

غالبًا ما يُقارن لبنان بأسطورة طائر الفينيق، طائر يتبعث من رماده ليحيا من جديد. ولكن مثل كل الاستعارات، فإن هذه أيضاً ليست مكتملة؛ ففي كل مرة ينهض فيها طائر الفينيق من رماده، مثلنا، يكون مثخناً بجرح آخر. ركّزت الاستعارة دائماً على الهدف النهائي بدلاً من عملية الوصول إليه. جروحنا عامل رئيسي في رحلاتنا. ومن خلال تعلم كيفية التعامل معها يمكننا في يوم من الأيام أن ننظر إلى الوراء وإلى ندوبنا الملتئمة وأن نكون قادرين على القول إنها ساعدتنا في أن نصبح النسخة الأفضل من أنفسنا. نسخة من أنفسنا ستغيّر العالم يوماً ما.

نعم. هذا صحيح. لدينا القدرة على تغيير العالم. ولقد فعلنا ذلك بالفعل. أريدكم أن تتذكّروا حملات التنظيف في الجمّيزة والكرنتينا وبرج حمود يومي الخامس والسادس والسابع من آب. أريدكم أن تتذكروا كيف طالبنا بالعدالة في الثامن منه. أريدكم أن تتذكروا العشرات من المبادرات التي انبثقت من الطلاب الذين جلسوا على هذه الكراسي أمامي. مبادرات وفّرت المأوى والأدوية والغذاء وجميع أشكال الإغاثة الأخرى لأولئك الأكثر ضعفاً في مجتمعنا.

لكن لم نمش في رحلتنا في التعلم ولا في رحلتنا في العلاج بمفردنا. كان لدينا جميعاً ملائكة حارسون يراقبوننا، في كل خطوة من الطريق. أحياناً بصمت، وأحيانًا بصوت جهوري، وفي كثير من الأحيان، كانوا يقاطعون صفوفنا لإخبارنا أن الغداء جاهز. لذلك أود أن أقطع حديثي لأشكر والديّ وأخي وأصدقائي وجميع أفراد عائلاتكم وأصدقائكم على الأمل والثقة والعاطفة التي وضعوها في كل واحد منا.

مؤلفي المفضل براندون ساندرسون كتب في أحد كتبه: "أهم خطوة يمكن لأي شخص أن يتخذها هي دائماً الخطوة التالية." لقد اتخذ عدد كبير من أصدقائنا بالفعل خطوتهم التالية في الخارج ولم يتمكنوا من حضور الحفل معنا اليوم. وسيتبعهم عدد أكبر قريباً. لذلك، إلى كل والد يساعد ابناً أو ابنة في حزم الحقائب، وإلى كل شقيق يُفرّق عن أخيه أو أخته، وإلى كل شخص يذهب إلى وداع صديق مقرّب بعد صديق مقرّب، أؤكد لكم أن هذه الخطوة التي اتخذوها سوف تكون أساس نجاحهم والتغيير

الذي سيُحدِثونه.

وإلى متخرّجي العام أقول، لا أطيق الانتظار لأرى إلى أين ستقودكم خطواتكم التالية، ولا أطيق الانتظار لأرى كيف ستغيّرون العالم. ٢٠٢١